مادة النص الأدبي المعاصر **جميع التخصصات**

المستوى: السنة الثانية ليسانس **الأستاذ: بن زياني**

المحاضرة رقم:06

قصيدة التفعيلة في الجزائر

توطئة:

أرجع الدارسون تأخر ظهور قصيدة التفعيلة في الجزائر عن مثيلاتها في المشرق، بسبب أنّ" الأرضية التي بسّطتها الترجمة في المشرق للشعر الحرّ، لم تتح للشاعر الجزائري الذي وقف من الثقافة الفرنسية موقف العداء، فلم يحتك بها إلاّ في وقت متأخر، بالرغم من النداءات المبكرة التي رفعها رمضان حمود في العشرينيات للأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية، والنهوض بالأدب العربي عن طريق الترجمة، فإنّ طابع القطيعة كان ولا يزال يفوّض نفسه على الثقافة العربية والفرنسية في الجزائر" ،فكانت دعوة رمضان حمود دعوة للتغيير و ضرورة للإطلاع على الآداب الأجنبية لمسايرتها، لهذه أسباب بقي هذا التيار الجديد غير مكتمل الملامح في الجزائر.

1)أسباب ظهور شعر التفعيلة في الجزائر:

- ظهور شعر التفعيلة عام 1947م على يد نازك الملائكة وبدر شاكر السياب في العراق، وتأثر الجيل الجديد من الشعراء به.

- اندلاع الثورة التحريرية عام 1954م، وهي ثورة فعلية على المنظومة القديمة ككل، وكان تأثيرها شديدا على كل مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكأنّما تَحرّر الشعر من الوزن والقافية كالتحرّر من الاستعمار. يقول الباحث سعد الله" إنّه بقدر ما كان متحرّرا من القافية والوزن وغير ذلك من أشكال التحرّر بقدر ما كانت روحه أيضا متحرّرة رافضة للوجود الاستعماري" .

- احتكاك بعض الشعراء الجزائريين بالنموذج المشرقي، حينما كانوا يدرسون بتونس أو بالمشرق، ومن ثمّ اطلعوا بشكل مباشر على التجارب الشعرية الجديدة.

- أسهمت مجلة(الآداب) البيروتية في ظهور شعر التفعيلة في الجزائر وانتشاره، من خلال نقل التجارب الجديدة في مجال الشعر وتأثر الشعراء الجزائريين بها.

- الرغبة الحثيثة لدى الشعراء في التغيير ، والبحث عن قالب شعري جديد قادر على استيعاب أحاسيسهم

المتدفقة، والتحرّر من قيود القصيدة القديمة.

2)ملامح شعر التفعيلة في الجزائر:

يؤرخ أغلب الدارسين لبداية الشعر الحر في الجزائر مع ظهور أوّل نصّ شعري حرّ، نشر في جريدة البصائر، وهي قصيدة **(طريقي)** لأبي القاسم سعد الله عام 1955، وهي من بحر الرمل، جاءت على ستة مقاطع، يُعبر فيها عن الثورة والكفاح والنضال، واختياره لطريق النضال، يقول فيها:

يا رفيقي...

لا تلمني عن مُروقي

فقد اخترت طريقي

وطريقي كالحياة

شائك الأهداف مجهول السمات

عاصفُ التيار وحشي النضال...

ما به غير جراحات تسيل.

وقد سيقت محاولة أبو القاسم سعد الله، محاولات أخرى، منها قصيدة**(يا قلبي)** لرمضان حمود والتي نظمها عام 1928م ونشرها في مجلة وادي ميزاب العدد 96، وتميزت بتعدد الأوزان و تغير القوافي، والتي تبدو محاولة جدية لتخلّص من الوزن والقافية، ولعل هذا ما دفعه إلى القول "بأنّ الوزن والقافية أغلال حديدية تكبّل الشعر الحرّ ولا تطوره، وغاية أمرها تحسينات لفظية اقتضاها الذوق والجمال"، يقول في قصيدته(يا قلبي):

أنت يا قلبي فريد في ألم والأحزان

ونصيبك في الدنيا الخيبة والحرمان

أنت يا قلبي تشكو همة ما كبارا، وغير كبار

أنت يا قلبي مكلوم، ودمك الطاهر يبعث به الدهر الجبار

ارفع صوتك للسماء مَرّة بعد مرّة

وقل اللهم أنّ الحياة مُرّة

أَعِنّي اللهم على اجتراعها.

ثمّ تتابع الشعراء خاصة الشباب منهم على الكتابة في هذا الشكل الشعري الجديد، أمثال: محمد الصالح باوية، عبد السلام حبيب، وعبد الرحمان الزناتي، والطاهر بوشوشي، وأبو القاسم خمار الذي كتب قصيدة عام 1954 بعنوان**(الموتورة)** من ديوانه**(أوراق)** وهي من بحر المتقارب، وجاءت على ثمانية مقاطع، نظمها في حلب، يصف فيها حال لاجئة فلسطينية، يقول فيها:

كحبل الوريد

قريب بعيد

هناك من خيمة نازحة

إلى جانب قرية نائحة

هناك خلف القبور العراة

بين المآسي، ولفح السراب

بدت عائدة

بقبضتها كمشة من تراب

تزاحمها صخرة صامتة

وقد هتف بريق عجيب

كلون اللهيب

كلحن الألم

إلام الشقاء؟

كما كتب محمد الأخضر السائحي قصيدة عنوانها**(حنين)**، نظمها بتونس عام1953م يصور فيها حنينه إلى بلاده، يقول فيها:

حبيبي

أَحِنُّ إلى كلّ شيء

لديك

حنيني

إلى وطني إلى حفنةٍ من ترابه

حنيني

إلى زهرةٍ ذات عطرٍ

لديك

فؤادي

من الذكريات

وكان شِعر هؤلاء الشباب صدى للثورة التحريرية الكبرى من جهة، ومن جهة أخرى فإن الاتجاه إلى هذا الشكل الشعري الجديد المتحرّر من قيود القافية ومن صرامة الوزن، جاء" استجابة طبيعية لمّا حسّ به الشعراء الشباب آنئذ من مظاهر الكبت السياسي والاقتصادي والجمود الاجتماعي والديني" ،فكان شعر التفعيلة في الجزائر ظاهرة أدبية وفكرية متميّزة، أسهمت في تحرّر الشعراء من قيود الاستعمار من جهة، وتجاوز النظام العمودي للقصيدة العربية.